وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد :

الحمد لله "الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا" [الفرقان: 62]، فجعل سبحانه الليل والنهار محلاً للطاعات، ومستودعاً للأعمال المباركات، للمؤمنين والمؤمنات الصالحين والصالحات، الذين يغتنمون أعمارهم في طاعة رب البريات، ولو أن أنساناً أفنى عمره من يوم ولد الى أن يموت، في طاعة الله تعالى؛ ما أدى شكر نعمة من نعم الله -عز وجل-،ولا أدى حق الله، ولن نوفي الله حقه مهما فعلنا، لأنه المتفضل علينا بكل صغيرة وكبيرة، حتى العبادة هي محض فضله وامتنانه، وكما قال -ﷺ- لولا الله ما صمنا ولا صلينا ولا اهتدينا .

✉كنا في شهر الخير والبركة، نصوم نهاره ونقوم من ليله، ونتقرب إلى الله بالطاعات والقربات، طمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه، رمضان قربنا من الله عز وجل وعلاقتنا بالله أصبحت أقوى، فالروح ارتاحت والنفس اطمأنت، والعين قرت، نسجنا نسيجاً بألوان مفرحة، جملت حياتنا، فالصيام والقيام، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام ،و قراءة القرآن، كل هذه الأعمال المباركات الطيبات غسلت همومنا، وأذهبت أحزاننا، وازدهر ربيع قلوبنا، بعدما ذقنا لذة القرب والانس بالله، والشوق للقاء الله، ثم انتهت تلك الأيام وانقضت، ولم يبق فيها إلا ما أودع فيها من الأعمال، فإن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر، وهكذا سائر أيام العمر، تنقضي وتنتهي يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، حتى ينتهي الأجل، (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) [البقرة: 36].

تمر بنا الأيام تترا وإنما ***نساق إلى الآجال والعين تنظر

✉لنعتبر بمرور الأيام، وانقضاء الشهور والأعوام، وما ذلك إلا نقصان من الأعمار، ولن نجد في قبورنا وأخرتنا إلا ما قدمنا في دنيانا (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [البقرة: 200 - 202]، (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا)[الإسراء:18-19]

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى:"الإنسان كلما تذكر أنه سيموت طالت حياته أو قصرت فإنه لا يطيب العيش له، ولكن من نعمة الله عز وجل أن الناس ينسون هذا الأمر، ولكن هؤلاء الناسين منهم من ينساه باشتغاله بطاعة الله، ومنهم من ينساه باشتغاله بالدنيا"، قال -ﷺ-: "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا" رَوَاهُ مُسْلِمٌ، الجميع يعمل لكن شتان بين من يعمر الدنيا ومن يعمر الآخرة.

✉انتهى شهر رمضان، لكننا نتساءل عن ذاك النسيج الجميل الذي لون أيامنا وأوقاتنا، هل انتهى هل انقضى، هل انقضت الصلوات وانتهت الخلوات، هل ماتت العبرات، وهجرت المساجد، هل عادت المصاحف للرفوف، هل قلت الصفوف، هل نام الرجال عن الصلاة، وامتلئت الأسواق بالنساء، اين الساجدين الراكعين الباكين

الذين عاهدوا ملك السماوات والاراضين، أن يكونوا ربانين لا رمضانين، أخذ الله علينا الميثاق أن نعبده ولا نشرك به شيئا، نذكره فلا ننساه، ونشكره فلا نكفره، ونطيعه فلا نعصيه.

✉آية من كتاب الله تحمل لنا النصح والإرشاد، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: 92]

✉آية تُقرّر للمسلم صحةَ منهجه، وصوابَ مَسلكه، وأن العبادات صلاة وزكاة وصيام وسائر الطاعات ما هي الا بناء عظيم يمثل الدين الإسلامي، وأن الانسلاخ عن منهج الإسلام ليس إلا هدمًا لهذا البناء ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: 92]

✉والمؤمن الحق يصوم فمه فيفطر، وتصوم جوارحه فلا تفطر، فلا يأتي المؤمن في عامه وعمره منكراً ولا يشهد زوراً، فلا يقول الحرام ولا يفعل الحرام ولا يبطن حب الحرام، فيصوم سمعه وبصره وقلبه ما دام على قيد الحياة، لأنه عاهد الله في رمضان ومدى الزمان أن يصوم عن الحرام والخبائث عمره كله حتى يلقاه.

✉كلماتُ الحق تَصِفُ حالةَ الامة المحمدية في أزمنتها المتأخرة عندما نقضت غزلها وعهدها، ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ [النحل: 92]، استبدلت الأمة المحمدية، المنهج الإسلامي القوي الذي يتصف بالصدق والعدل، بالمناهج البشرية التي تتصف بالكذب والظلم ، فكان هذا من الهدم للبناء والنقض للغزل، من بعد قوة رسول الله -ﷺ- وأصحابه ومن تبعهم في حكم الأرض ومن عليها، بقانون رباني ملئ الأرض عدلا وصدقا، ورفع فيه راية الإسلام وحكم فيه المسلمين ومكن الله لهم في الأرض، ثم صار الانسلاخ والهدم للبناء والابتعاد عن المنهج الرباني وكانت النتيجة المؤلمة، الضعف والذُّل والهوان في العالم أجمع.

📂لقد قص علينا القرآن قصتين: قصة رجل وقصة امرأة:

📌أما الرجل:

فهو رجل من بني اسرائيل، ذاق حلاوة الإيمان، وآتاه الله من آياته، لكنه انقلب على عقبيه، اشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، وانسلخ من آيات الله كما تنسلخ الحية عن ثوبها، لقد أنزل الله فيه قوله: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[الأعراف: 175-176]

📌أما المرأة:

فهي امرأة تسمى خرقاء مكة، كانت طوال نهارها تغزل غزلاً، حتى إذا ما أتمت ذلك الثوب وأصبح كاملاً وافياً بين يديها، باتت تنقضه خيطاً خيطاً، قال الله فيها: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ....) [النحل: 92].

✉وهذا المثل الذي ضربه الله تعالى للدلالة على شناعة الإفساد بعد الإصلاح والمعصية بعد الطاعة، والكفر بعد الايمان، نعوذ بالله من الْحَوَر بَعْد الْكَوَر، ومن النقصان بعد الزيادة.

✉فهذا ينطبق على كل من ذاق حلاوة الإيمان في رمضان فحافظ على الواجبات، واجتنب المحرمات، قام الليل، وصام النهار، ودعا الله عزوجل وحافظ على صلاة الجماعة، يتلو آيات الله في الصباح والمساء، حتى

إذا ما انقضى رمضان تراه انسلخ من آيات الله عز وجل ونقض غزله من بعد قوة أنكاثاً، وكأنه ودع رمضان وودع معه الأعمال الصالحة، وعاد إلى المعاصي والتقصير والإهمال بعد رمضان، فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان فات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

يقول كعب رضى الله عنه: "من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا خرج رمضان عصى ربه؛ فصيامه عليه مردود، وباب التوفيق في وجهه مسدود."

ولمَّا سُئِل بشر الحافي رحمه الله عن أناس يتعبدون في رمضان ويجتهدون، فإذا انسلخ رمضانُ تركوا، قال: "بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان"!

إن رب رمضان هو رب الشهور كلها، فالله يرضى عمن أطاعه في رمضان وفي غير رمضان، ويغضب عمن عصاه في رمضان وفي غير رمضان، فمدار السعادة في الدارين قوامها الاستقامة، بفعل الطاعة وترك المعصية.

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) [فصلت:30].

عَنْ أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: "قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك؛ قَالَ: قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

قال الحسن البصري رحمه الله: (كل يوم لا تعصي الله فيه فهو لك عيد) ليس العيد لمن لبس الجديد إنَّما العيد لمن إيمانه يزيـــد وخاف يـــــوم الوعيـــــد واتَّقى ذا العرش المجيـــــد.

ليس الدِّين أن نعبد الله كما نريد، ونحن عن حقيقة العبادة وسرِّها غافلون، وليس من الطَّاعة لله أنْ نعبده أيامًا، ثم نتخلى عنها شهورًا ونحن مُتساهلون، ولأحكام شرعه مهملون، وعن الوعد والوعيد ذاهلون، نحرم ونحلل تبعا للمصالح والأهواء، ونجعل وراء ظهورنا ما جاء به المرسلون، ونحن نعلم أننا إلى ربنا راجعون.

لقد علم المؤمنون الصادقون غايةَ وجودهم في هذه الدُّنيا، فلم يغفلوا عن ربِّهم القائل - سبحانه -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

قد جاء الأمر الإلهي بمواصلة العبادة حتى الموت، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] أي الموت، فليس انتهاء رمضان يعني أن يدخل الإنسان في إجازة عن العبادة والقربات، حتى يأتي رمضان المقبل، فقد روى أبو هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله -ﷺ- قال: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ..." صحيح مسلم فأخبر أن الموت هو قاطع العمل، وليس انتهاء رمضان كما يفعله كثير من الناس، ولأجل أن عمل الإنسان لا ينقطع إلا بموته، كان طول عمر المؤمن خيرا له، ليتزود من الطاعات، ويكتسب المزيد من الحسنات، ولهذا يكره في حق المؤمن أن يتمنى الموت، أو أن يدعو به على نفسه، كما روي في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله -ﷺ-: "لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ، ولا يَدْعُ به مِن قَبْلِ أنْ يَأْتِيَهُ، إنَّه إذا ماتَ أحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وإنَّه لا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمْرُهُ إلَّا خَيْرًا" صحيح مسلم

انه ليس احد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام يكثر تكبيره وتسبيحه وتهليله و تحميده روى الإمام احمد والنسائي في عمل اليوم والليلة بإسناد حسن عن عبد الله بن شداد: أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ثَلَاثَةً، أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمُوا، قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: " مَنْ يَكْفِينِيهِمْ ؟ " قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا قَالَ : فَكَانُوا عِنْدَ طَلْحَةَ

، فَبَعَثَ النَّبِيُّ -ﷺ- بَعْثًا فَخَرَجَ فيه أَحَدُهُمْ فَاسْتُشْهِدَ ، قَالَ : ثُمَّ بَعَثَ بَعْثًا فَخَرَجَ فِيهِ آخَرُ فَاسْتُشْهِدَ ، قَالَ : ثُمَّ مَاتَ الثَّالِثُ عَلَى فِرَاشِهِ ، قَالَ طَلْحَةُ : فَرَأَيْتُ هَؤُلاءِ الثَّلاثَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدِي فِي الْجَنَّةِ ، فَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَخِيرًا يَلِيهِ ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَوَّلَهُمِ آخِرَهُمْ ، قَالَ : فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : " وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلامِ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ".

✉وقد دل هذا الحديث العظيم على عظم فضل من طال عمره وحسن عمله، ولم يزل لسانه رطبا بذكر الله عز وجل.

قال رسول الله -ﷺ-: (خير الناس مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ). السلسلة الصحيحة

📝ومن القدوات في حياة المسلمين المتمسكين بالعهود مع الله، الثابتين على طاعة الله الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.....

❁الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضى الله عنه، أسلم 38 عاما وصدق رسول الله -ﷺ- وأقام حدود الله، وجاهد في سبيل الله إلى أن توفاه الله وعمره 63 عاما، اعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

❁والصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي عنه، أسلم وعمره 36 عاما وملئ الأرض عدلا وآمنا ولا يزال يجاهد في إعلاء كلمة الله إلى أن استشهد وعمره 63، اعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

❁والصحابي الجليل على -رضي الله عنه- اشتهر بالشجاعة والفروسية في الحروب والمعارك، وحمل الراية أول مرةً حين كان عمره عشرين سنةً، ولايزال حتى استشهد وكان عمره 63 عاما، اعبد ربك حتى يأتيك اليقين.
❁والصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه، أسلم 35 عام جاهد في الله حق جهاده، حكم بشرع الله وأعلى كلمة الله واستشهد وعمره 82 عاما، اعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

✉هؤلاء هم أهل اليقظة الذين قضوا أعمارهم بالدعوة الى الله، أما أهل الغفلة فلا يعرفون نعمة بقائهم في الدنيا، فيظنون أنهم بقوا للتمتع بالشهوات، ولجمع الحطام، وللتكاثر من الأموال والأولاد، مع التفريط في عمل الآخرة، الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر، يعلمون ظاهر من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة غافلون.

✉لنحذر أن نكون من عباد المواسم، فقد ذم السلف هذا الصنف من الناس، فقد قيل لبشر: (إن قوما يجتهدون ويتعبدون في رمضان، فقال: بئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان، إن الصالح يجتهد ويتعبد السنة كلها)، وسئل آخر: أيهما أفضل رجب أو شعبان، فقال: كن ربانيًّا ولا تكن شعبانيًّا، فرب رمضان هو رب الشهور كلها.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: 21] فالرسول -ﷺ- هو أسوتنا وقدوتنا، فإن اقتدينا به أفلحنا، وإن خالفناه خبنا وخسرنا، ولهذا لما سئلت السيدة عائشة – رضي الله عنها – " هَلْ كَانَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ- يَخْتَصُّ مِنَ الأَيَّامِ شيئًا؟ قالَتْ: لَا، كانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، " أي كان دائماً مستمراً على الطاعات.

✉واعلموا أن الدوام على العمل الصالح محبب إلى الله، حتى وإن قل هذا العمل، قال -ﷺ-: " أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدْومُها وإن قَلَّ" صحيح الجامع

📂وللدوام على العمل فوائد عظيمة، منها:

❶-أنه اقتداء بالنبي -ﷺ- فقد قالت السيدة عائشة – رضي الله عنها – كان رسول الله -ﷺ- "إذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ"صحيح الجامع.

❷-ومنها أنها تجعل الإنسان دائماً متصلاً قلبه بالله.

✉إنَّ العباداتِ كلها من أجل أن تتصلَ بالله عزّ وجل، الحياة الحقيقية حياة الاتصال بالله، عندما يقذف في قلبك نور إلهي ترى به الخير خيراً والشر شراً: (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) [الأنعام:122]، ومن ينقطع عن العبادة في الحقيقة هو ينقطع عن الحياة ويكون في عداد الموتى.

قال تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) 📋قال الطبري: فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكرْكم برحمتي إياكم ومغفرَتي.

❸-ومنها أنها تروض النفس على لزوم الخير والطاعة، حتى يصبح العمل سهل على النفس وجزء منها.

📋قال ابن القيم: " وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يُعَانِي الطَّاعَةَ، وَيَأْلَفُهَا، وَيُحِبُّهَا، وَيُؤْثِرُهَا حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِرَحْمَتِهِ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ تَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا، وَتُحَرِّضُهُ عَلَيْهَا، وَتُزْعِجُهُ عَنْ فِرَاشِهِ وَمَجْلِسِهِ إِلَيْهَا. وَلَا يَزَالُ يَأْلَفُ الْمَعَاصِيَ، وَيُحِبُّهَا، وَيُؤْثِرُهَا حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينَ، فَتَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا. فَالْأَوَّلُ قَوِيٌّ جَنَّدَ الطَّاعَةَ بِالْمَدَدِ، فَكَانُوا مِنْ أَكْبَرِ أَعْوَانِهِ، وَهَذَا قَوِيٌّ جَنَّدَ الْمَعْصِيَةَ بِالْمَدَدِ فَكَانُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ". انتهى

❹-ومنها أنها تعرض المسلم لمحبة الله تعالى، المداومة على الأعمال الصالحة من الأسباب الجالبة لمحبة الله والحافظة من كل سوء وفي الحديث: عن رسول الله -ﷺ- فيما يرويه عن ربه: "مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ". صحيح البخاري

📝ولا يزال أي: يستمر تفيد الاستمرارية، إن هذا الاستمرار سببٌ للنجاة من الشدائد، وان سألني لأعطينه وان استعاذني لاعذينه

ولذلك قال النبي -ﷺ- لابن عباس -رضي الله عنهما-: "احفظِ اللهَ يحفظْك، احفظِ اللهَ تجدْه أمامَك، تعرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ يعرفُك في الشدَّةِ"

📝إذاً هذه الطاعات تنفع في الشدائد، من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء، ويونس -عليه السلام - لولا أنه كان من المسبحين في الرخاء (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)، لكن لأنه كان عبداً صالحاً يسبح الله ويعبده من قبل، شفع له ماضيه وما سلف من العبادة عندما وقع في الشدة، وعندما صار في الأزمة فنجاه الله تعالى.

❺-إن المداومة على الأعمال الصالحة تنقذ صاحبها من الفواحش (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ) جاء رجل إلى رسول الله -ﷺ- فقال:" إن فلان يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال: (إنه سينهاه ما تقول) سينهاه في النهاية إذا استمر على هذا القيام قيام الليل فإنه سينهاه عن السرقة " رواه الامام أحمد رحمه الله.

❻- والمداومة على الأعمال الصالحة وخاصةً الصلوات المكتوبة سببٌ لمحو الخطايا، ما معنى حديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا) مسلم وبخاري

⇦معناه: المواصلة والمداومة، كل يوم خمس مرات، بهذه الصلوات المكتوبات هذه المواصلة والمداومة تسبب تكفير الخطايا والسيئات، يغسل نفسه كل يوم بهذه الصلوات من الأدران، أدران الذنوب والمعاصي.

❼-هذه المداومة على الأعمال الصالحة سببٌ لحسن الخاتمة، وقد قال الله تعالى:(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت:69] ، وقال الله تعالى:(يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) [ابراهيم:27].

قال-ﷺ-:"مَنْ ماتَ على شيءٍ بَعثَهُ اللهُ عليْهِ" صحيح الجامع

وقد جاء في الصَّحيحَينِ مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهما- وهذا لفظُ أبي داودَ-: "أُتِي النبيُّ -ﷺ- برَجُلٍ وقَصَتْه راحلتُه، فماتَ وهو مُحرِمٌ، فقال: كفِّنوه في ثَوبيهِ، واغْسِلوه بماءٍ وسِدرٍ، ولا تُخمِّروا رأسَه؛ فإنَّ اللهَ يَبعثُه يومَ القِيامَةِ يُلبِّي).

❽-وكذلك فإن المداومة على الأعمال الصالحة، والاستمرار عليها بعد رمضان، وفي رمضان وفي سائر العام؛ إنها سببٌ لتيسير الحساب، وتجاوز الرب -سبحانه وتعالى- ، قال أبو مسعود لأبي هريرة: هكذا سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ، فقالَ: ما عَمِلْتَ؟ قالَ: ما عَمِلْتُ مِنَ الخَيْرِ إلَّا أنِّي كُنْتُ رَجُلًا ذا مالٍ، فَكُنْتُ أُطالِبُ به النَّاسَ فَكُنْتُ أقْبَلُ المَيْسُورَ، وأَتَجاوَزُ عَنِ المَعْسُورِ، فقالَ: تَجاوَزُوا عن عَبْدِي" رواه مسلم

❾إن من فوائد المداومة على الأعمال الصالحة؛ استمرار الأجر إذا حصل الانقطاع رغماً عن الإنسان؛ ولو قال قائل: نسافرُ ونمرض وينقطع العمل رغماً عنا، الجواب:أن النبي -ﷺ- قال: "إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا"، قال ابن حجر- رحمه الله- " هذا في حق من كان يعمل طاعةً فمنع منها، وكانت نيته لولا المانع أن يدومَ عليها"، وقال -ﷺ- :"ما من امرئٍ تَكونُ لَهُ صلاةٌ بليلٍ يغلبُهُ علَيْها نومٌ إلاَّ كتبَ لَهُ أجرُ صلاتِهِ وَكانَ نومُهُ عليْهِ صدقةً" صحيح أبي داود ، يعني: من ربه تصدق عليه بالنوم، وكتب له أجر العبادة، لأنه كان ينوي القيام، وهذه عادته مستمرة، لكن ذات ليلة غلبته عيناه، فيبقى الأجر محفوظاً للعبد، والرب كريم، والعبد ما دام معروفا بالطاعة عند الله ، فإن الله يكافئه على ذلك.

❿-ثم إن الاستمرار على الأعمال الصالحة ، سبب لدخول الجنة من الأبواب العظيمة التي لها، للجنة ثمانية أبواب عظيمة، قال النبي -ﷺ-: "فمَن كانَ مِن أهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّلَاةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِن بَابِ الجِهَادِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِن بَابِ الرَّيَّانِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّدَقَةِ" صحيح البخاري، يعني ناس مستمرون على النوافل في هذه الأبواب، نوافل الصلوات، ونوافل الصدقات، وهكذا لأنهم أصلاً يقومون بالفرائض.

✉بعد أن عرفنا أثر العبادة، وذقنا طعم الإيمان، وحلاوة الطاعة، ولذة المناجاة، علينا أن نحافظ على هذه المكاسب، وعلى تلك المنجزات، ولنحذر أن نكون كالتي ضرب الله بها المثل، تلك المرأة الخرقاء، التي قال الله فيها، محذرا إيانا أن نسلك سبيلها، أو أن نمتثل طريقها ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: 92] نحذر من الحور بعد الكور والنقص بعد الزيادة والضلال بعد الهداية.

✉فمن استقام ثم حاد، فحاله شبيه بحال هذه المرأة، فلنحذر أن نحلق رؤوس أعمالنا بالذنوب، فإنها حالقة الدين، فإنه يقبح بمن نمى إيمانه في رمضان، وجمله وزينه بالأعمال والقربات، ثم إذا ما انقضى الشهر عاد وهدم ما بنى، وقد كان من دعاء الصالحين: اللهم إنا نسألك العمل الصالح وحفظه.

✉فالمحافظة على الطاعات، ما هي الا تكلم بلسان الحال، عن عبد يريد القرب من ربه، عبد يحرص على رضا ربه، عبد يخشى ان يكون من الذين نسوا الله فانساهم أنفسهم، يربي نفسه على حب الله ويجعل كل حياته لله وفي الله وبالله ولا يريد الا وجه الله، لا تجد المؤمن الا لواما لنفسه لماذا قل وردي في القرآن، اين خشوعي في الصلاة، لماذا قلت، لماذا زرت، لماذا عصيت، منشغل دائما في طاعة الله وحماية نفسه من معصية الله، عمره كله لله حتى يلقى الله.

✉ولذلك يجب علينا أن نستمر في العبادة، ولا نتغير إلا للأحسن، ولا أن نعود إلى كفر بعد إيمان، ولا إلى معصية بعد طاعة، وإنما نستمر في ذلك العهد الإيماني، الذي كنا مرتبطين به بالرب -عز وجل.

✉والاستقامة والثباتُ يثبّتانِ العملَ ويُمتِّنانه، ويَسِيران به في طريق الديمومة والاستمرار؛ ولذلك كان مِن جملة دعائه - عليه الصلاة والسلام -:"اللهمَّ إني أسألُك الثباتَ في الأمر، وأسألك عزيمة على الرشد" الترمذي

وعن شهر بن حوشب قال: قلتُ لأم سلمة: يا أم المؤمنين، ما كان أكثر دعاءِ رسولِ اللهِ -ﷺ- إذا كان عندكِ؟ قالت: كان أكثر دعائه: ((يا مُقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينِك)) قالتْ: قلتُ: يا رسول الله، ما أكثرَ دعاءَك: يا مُقلِّب القلوب، ثَبِّتْ قلبي على دِينِكَ! قال: ((يا أمَّ سلمة، إنه ليس آدميٌّ إلا وقلبُه بين إصبعين مِن أصابع اللهِ، فمَن شاء أقام، ومَن شاء أزاغ))، فتلا معاذٌ - أحدُ رواةِ الحديثِ -: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: 8]؛ (الترمذي، برقم 3522)

✉كان صحابة رسول الله -ﷺ- يداومون على الأعمال، ويحافظون عليها، ولما روى علي - رضي الله عنه- حديث التسبيح عند النوم: "سبحان الله ثلاثا وثلاثين، والحمد لله ثلاثا وثلاثين، والله أكبر أربعا وثلاثين"، قال: "ما تركته منذ سمعته من رسول الله -ﷺ- قيل: ولا يوم صفين، قال: ولا يوم صفين"، حتى عند اشتداد الأمور، وصليل السيوف، وفي أجواء المعركة، ورهبة الموقف، في الليلة التي يصبح فيها مصبحاً للعدو، لم ينسها.

✉عبد الله بن عمرو بن العاص لما تعهد أن يقرأ القرآن كل ثلاثة أيام، بقي على ذلك حتى الموت.

✉كيف يحافظ سعيد بن المسيب وغيره حافظ على تكبيرة الإحرام أربعين سنة أو ستين سنة.

✉فمنصور بن المعتمر من اهل العلم كان يداوم على الصلاة ستين سنة يقوم الليل، فلما مات، قال طفلٌ من الجيران لأمه: "أين الجذع الذي كان على سطح جارنا منصور؟ قالت: ليس بجذعٍ يا بني، ذاك منصور مات"، من كثرة قيامه ظنه الطفلُ جذعاً، خشبه على السطح.

✉مسألة الاستمرار والمداومة هي السر في نجاحِ المسلم في الثبات على الدين، والوصول إلى الآخرة سالماً.

اللهم اجعلنا من المداومين على الصالحات، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم اجعلنا من الأخيار الأبرار، اللهم ارزقنا العبادة، والاستمرار عليها وثبتنا عليها حتى الممات.